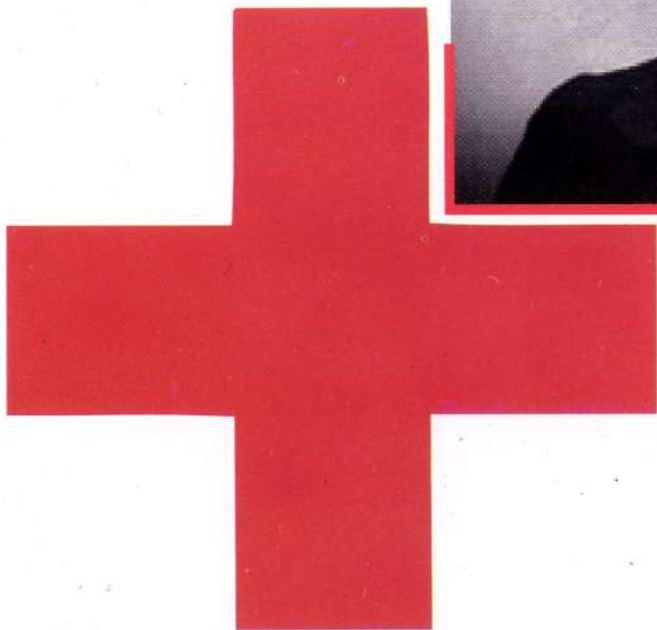


د. مصطفى خياطي

هنري دونان

الأسطورة الزائفة



فهرس

مقدمة.....	5
قضى شبابه بين تبشير فاعل وتربص في العمل المصرفي.....	9
الاستعمار السويسري في الجزائر.....	19
السياق الجزائري بين 1850 و1870.....	37
دونان المعمر.....	71
من سولفيرينو إلى معاهدة جنيف.....	109
هنري دونان، الأمير عبد القادر وحقوق الإنسان.....	157
أديب أم ريشة مأجورة.....	183
الانحراف الأخلاقي.....	199
دونان "المسيحي الصهيوني".....	221
النوبل المثير للجدل.....	241

مقدمة

هنري دونان هو بكل تأكيد شخصية معقدة. ففي 1940، لم يجد الأستاذ بجامعة جنيف، ألكسيس فرانسوا (Alexis François)، الذي خصص له ترجمة حياته، أحسن من تسمية كتابه: "أوجه هنري دونان".

إن تاريخه الفريد جعل منه ضحية كبيرة. هذه الصورة لم تكن أكثر غرابة لمؤلف "ذكرى من سولفيرينو" الذي اشتغل كثيرا من أجل غرسها عند معاصريه، وقد ساهمت كثيرا في جلب ود وتعاطف الناس له في الربع الأخير من حياته، لكن كذلك عند الأجيال التي جاءت من بعده. هناك أسطورة حقيقية تحيط اليوم بهذه الشخصية؛ إنه المسيح بالنسبة للبعض أو نبي العمل الخيري، إنه القديس أو الشهيد بالنسبة لآخرين... هذه النظرة "النبوية" الممنوحة للجنيفي (من جنيف) حولت الرجل إلى ملاك. فكثيرا ما توارت إنسانيته في كتاباته. غير أن دونان لا شيء إلا كائنا إنسانيا وليس حتى بطلا. لقد حاولت كورين شابونير Corinne Chaponnière في كتاب حديث أن تعيد لهنري دونان إنسانيته بضعفها وقوتها، بنقائصها وقيمها، بدنائها وعظمتها. أما بالنسبة للكاتب السويسري سارج بيمباغ (Serge Bimpage)، فقد كان دونان على الأصح منعزلا، لم يكن "لا مغامرا ولا متمردا ولا بطلا".

والمشكلة اليوم هي كشف وإجلاء حقيقة الضباب الذي يحيط بالرجل ويصنع منه رجل الأسطورة بإرادة أناس آخرين. هؤلاء الذين بحكم إفراطهم في تلتفهم وتساهلهم حياله شوهوا صورته. ولكن مع الأسف فإن هذه الصورة المميعة هي التي نجدها في أغلب الأحيان في الأدبيات والتي تهدف إلى إخفاء الحقيقة التي لفت حياة هنري دونان، في المقابل فإن أولئك الذين يعرفون أحسن هذه الشخصية،

يفضلون عدم الحديث في الموضوع حسب ما تؤكد كورين شابونيير Corinne Chaponnière "يشعر سكان جنيف المطلعون قليلا أو كثيرا بعدم الراحة عندما نحدثهم عن دونان" (شابونيير ك. ص. 8).

لقد خلط دونان تقريبا باستمرار في حياته محبة خدمة الآخرين واستغلال العلاقات الاجتماعية للمصالح الخاصة. وللحفاظ على هذه الثنائية المتناقضة، فكثيرا ما كان يستعمل معايير أخلاقية غير متوافقة مع أصوله البروتستنتية ولكن أيضا مع نزعتة الإنسانية، وركضه الدائم وراء المال، حتى ولو أن القسم الأكبر من حياته كان يتصف بتقشف قريب من البؤس، يقلل أكثر من قيمة الشخص.

إن دور دونان في الجزائر كمعمر يستحق إعادة معاينة لأن أي حجة لا يمكن أن تبرر سكوته أمام العديد من التجاوزات التي رآها أو سمع عنها. وبالموازاة فإن تورطه نصف قرن من الزمن وإلى نهاية حياته في مشكلة احتلال ماثل، ألا وهو احتلال فلسطين وكذا بلاد الشام الكبير ينزع عنه مصداقيته الإنسانية. هذا الموقف المتخذ لصالح الاحتلال الذي بدأ مع مصالحه في الجزائر والذي استمر مع جمعه لأموال تبرعات في فلسطين فإن هذا يزيل عنه أي ظرف مخفف.

لم يكن دونان حتى مغامرا عندما نرى الأخطار التي عرض نفسه لها من أجل تسليم كتاب مستلهم يكاد يكون كليا من دروسه في التعليم المسيحي للمراهقين إلى "حاشية" الإمبراطور بقصد نيل لطف وطيبة هذا الأخير بنية الحصول على دعم منه بخصوص مساعيه للحصول على تنازلات أخرى في الجزائر.

كتابه الرمز "ذكرى من سولفيرينو" يمكن أن يوصف بكتاب عسكري مع الشئ الذي قدمه عن العنف وعن فضائل جيش الحلفاء. فهو يضع أسئلة عن استحقاقه نيل جائزة نوبل للسلام. هناك مفارقة أخرى يمكن تسجيلها من خلال كتابات دونان عندما يصرح بكل وضوح أنه ضد قانون للحرب: "قانون للحرب يصبح

شيئا شنيعا في عهد الحضارة الذي نعيش فيه، لأنه يظهر أنه يقر بشرعية - بشيء أكثر - وضعية أو حالة واقع ينظر إليها اليوم كأمر فظيع". يصرح في موضع آخر بـ"ضرورة الاكتفاء" ببعض الاتفاقيات الدبلوماسية الخاصة، تتناول كل واحدة مسألة خاصة".

صفته كرجل أدب تطرح بدورها مسائل أخرى. هو بالأحرى قلم مصالح كما يظهر من خلال بعض كتبه، ككتابه الذي قدمه إلى باي تونس، أو الذي أهده إلى الإمبراطور نابليون الثالث، أو الذي أهده إلى السلطان العثماني. الأسلوب المدحي المفرط الذي خص به الإمبراطور نابليون الثالث وجيشه في الطبعة الأولى لكتابه "ذكرى من سلفيرينو" دفع الكاتب إلى تهذيب الكتاب بعد طبعته الأولى.

سواء كان الأمر واقعا أم مصطنعا فإن لدونان الحق في الحقيقة، كل الحقيقة، ولا شيء غير الحقيقة.

Mostéfa KHIATI

Henry Dunant

une fausse légende



Préfacé par
Mr Djelloul Baghli



ISBN: 978- 9961 - 52 - 386 - 5



9 789961 523865



دار الخلدونية

05 شارع مسعودي محمد - القبة القديمة - الجزائر

هـ : 021.68.86.49 ف : 021.68.86.48

email : khalidou99_ed@yahoo.fr